أردوغان في البرلمان

المقدمة

((قَالَ رَبِّ اشْـرَحْ لِـي صَـدْرِي ;وَيَسّـرْ لـي أَمْـري; َواحْلُلْ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ;يَفْقَهُوا قَوْلِي)) .

الخطـاب أداة توصـيل تتـولى نقـل المـضامين الفكريـة، والـسياسية، والمـشاعرية مـن المعطـي (الخطيـب) إلـى المتلقـي (المخاطـَب)، ومـا مـن حركـة سياسـية، أو ثـورة جماهيرية، أو دولة قوية إلا ولها خطيب يتولى طرح أهدافها، وتحديد آليات تحقيقها ويحذر من الأخطار المحدقة بها.
لحظة الخطاب هي لحظة الكلام التي تمنح المعطي قوة التأثير في المتلقي، ومَلَكة النفوذ إلى عمقه، ويشعر معها أنه بقدر ما ينطلق من عمقه كخطيب سينفذ إلى عمق المتلقي كمخاطَب، ولا يتأتّى له ذلك ما لم يتمتع بوعي مركب، وعي المبادئ التي يدعو لها.. الواقع الذي يحيط بشعبه.. المخاطر المحدقة به.. الطموحات التي يتطلع إلى تحقيقها، والبرامج التي تتكفل بإحداث النقلة النوعية المنشودة، وكذلك وعي البنيوية الخطابية التي تمتزج فيها مفردات اللغة بدقة المفاهيم، وصدق المشاعر باتجاه التقارب الجادّ لأحاسيس الناس.
العطاء والأخذ كمادة للتداول، والمعطي والمتلقي كأطراف للتداول، لا يُشكّل ذلك بقرار، أي حين يجالس الإنسان مَن هو أكثر منه ثقافة وأسبق تربية، لاشك أنه أمام واقع التلقي، إذ لا يوجد مُعطٍ مطلق ودائم ومُتلقٍ مطلق ودائم؛ لأننا لسنا معصومين أو ملائكة، إنما هي نسبية تحكم الطرفين..

هذه الخطب أفرزتها معاناة مستوحاة من عذابات إنسان العراق والعالم، وصاغتها طموحات الإنسان ذاته، وحددت اتجاهها إرادة الإنسان المعطي؛ لذا كانت مرتجلة دونما تحضير مسبق أو زخرفة متكلفة تظهر فيها الصنعة الكتابية وهذا هو ديدن الدكتور ابراهيم الجعفري في كل خطبه.

مؤسسة الكتاب الثقافية

أردوغان في البرلمان

كلمة الدكتور إبراهيم الجعفري في مجلس النواب بحضور رئيس الوزراء التركي السيد رجب طيب أردوغان

بسم الله الرحمن الرحيم
أعضاء مجلس النواب المحترمين.. أتقدم بجزيل الشكر وعظيم الامتنان لوفد جمهورية تركيا الإسلامية برئاسة الأخ العزيز دولة رئيس الوزراء السيد (رجب طيب أردوغان)، مع كافة أعضاء الوفد، وأشكره كثيراً على كلمته القيّمة التي انطلقت من عمق قلبه كمعطٍ، ووصلت إلى عمق قلوبكم كمتلقين.

هناك فرق كبير بين مقطعين من الزمن بين مقطع عاشته تركيا في أوائل لقرن العشرين عام 1911 أي قبل مائة سنة، وما وصلت إليه تركيا اليوم في 2011، كانت آنذاك دولة الرجل المريض حيث التخلف والتمزق والتقوقع والتراجع، أما تركيا اليوم فقد أصبحت في مصاف الدول المتقدمة المتطورة التي تلعب دوراً مهماً وأساسياً على ساحة المنطقة، وعلى الساحة العالمية كذلك.

ما كان لتركيا أن تقطع هذه الأشواط ببساطة.. والإسلام في تركيا بعد أن مُنِي بما مُنِي به بدأ منذ سبعينيات القرن الماضي بالحراك التدريجي في داخل بنية الشعب التركي، ولم تكن محاولات (عدنان مندرس)، في الخمسينيات من المصالحة بين الشعارات الإسلامية والكمالية في تركيا إلا خطوة أولى على طريق التقريب بين العلمانية والإسلام، لكن القرار الذي قضى عام 1960 بإعدام 15 من قادة الحزب الديمقراطي بما فيهم (عدنان مندرس) الذي طوى مسافة، وفتح مسافة جديدة.

تواصلت تركيا الجديدة بالصعود، وبدأت تقطع شوطاً بعد آخر، ولمن لا يعرف كثيراً عن التاريخ المعاصر لتركيا فإنها مرت بثلاث مراحل سريعة.. تركيا ما قبل الرفاه وتركيا في الرفاه وتركيا ما بعد الرفاه تعني أردوغان، وتعني العدالة والتنمية (الحزب الذي يرأسه اردوغان).

هذه القفزة التي حققتها تركيا لم تكن قفزة شعارات، وكانت هناك عقلنة واضحة، وتوفر للتنمية والعدالة خطاب يبتعد عن الحالة العاطفية، وإنما يسمي، ويتكلم بلغة الأرقام، وكان هذا الخطاب يستوعب الخطابات المحلية والتطورات العامة في تركيا، وكان الخطاب جريئاً في توجيه النقد إلى الحكومة للأمور التي تمس الشعب، وواصلت تركيا والتنمية والعدالة صعودها على الطريق إلى أن وصلت إلى ما وصلت إليه، كما إنها اعتمدت القيادات الشابة في كل مراتب هيكليتها، وواصلت علاقاتها.

أذكر للسيد أردوغان مواقف كثيرة في عام 2004 عندما دعم موقف الحكومة بتوفير المياه وزيادة منسوب المياه عندما زرته، وكنت في رئاسة الجمهورية، ثم زرته أيضاً في رئاسة الوزراء، وتواصل الدعم إلى العراق كله، وأذكر له موقفه في دافوس عندما وقف موقفاً شجاعاً، وجريئاً في دافوس انتصاراً لضحايا غزة عندما وقف بوجه الكيان الصهيوني وشيمون بيريز.. أذكر له الكثير من مواقفه، وأود أن أقول له موجّهاً رسالة:
إذا أراد السيد أردوغان والمسؤولون أن ينظروا إلى العراق، وكيف عاش أول التسعينيات منتفضاً رائعاً ومثّل بواكير الثورات بدأت من العراق في 1991، وما أعقبها من ثورة أو انتفاضة الأنبار للشهيد (محمد مظلوم)، وكل الانتفاضات إذا أراد أن يتصور ذلك المشهد فلينظر اليوم إلى مشهد ليبيا، والموقف الذي يميز، ويحابي بين الثورة في بلد وآخر، وإذا أراد أن يعرف الموقف الإعلامي والفيتو والحصار الذي فرض علينا، واتهام الانتفاضات المتوالية، والثورات المتوالية في العراق، إذا أراد أن يتصور المشهد فعليه أن يحدق النظر في مسرح البحرين، وفي ساحة اللؤلوة، وما يجري اليوم في البحرين هو ذاته الذي حصل مع تراكمات الضحايا التي حصلت عندنا في منطقة الوسط والجنوب وانتفاضة شعبان والثورة الشعبانية، وكذلك ما حصل في حلبجة وفي الأنفال.

أود أن أوجه رسالة إلى السيد أردوغان، وهو اليوم في بيت الشعب يجلس مع إخوانه وأخواته: حولك 325 نائباً منهم 82 سيدة.. هذه النسوة امتداد للنساء اللواتي عانقن أعواد المشانق.. (هاشمية سدخان)، المرأة البصرية التي تقدمت لها أزلام السلطة الصدامية لتنتزع منها اعترافات جرّعوا طفلها السم على أن تنتزع منها اعترافا، وأبت هاشمية إلا أن تكون بطلة، ومنذ ذلك الأمس صنعت هذا الغد.. أريد أن أوجه رسالة انطلاقاً من الآية القرآنية الكريمة:
((وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ)).

الماء ليس طائفياً، وليس سنياً أو شيعياً الماء ليس قومياً وليس عربياً أو كردياً ولا تركمانياً، الماء ليس سياسياً، الماء لكل إنسان، وعندما ينخفض منسوب الماء يعني أن الإنسان في خطر، وأن الحيوان في خطر، وأن الشجر في خطر، وأن التربة في خطر، وإن الحضارة التي رفع لواءها أبناء العراق منذ ستة آلاف سنة في أهوار العمارة والناصرية والبصرة تصبح كلها في خطر؛ لذلك أود أن أؤكد أن نضوب المياه لا يحتاج إلى إعلام الراعي العراقي والمزارع العراقي عندما ينخفض منسوب المياه يتطلع إلى الموقف التركي؛ لأنها دولة المنبع.

أملنا بإخوتنا الأعزاء بهذه الثقافة الرائعة، وهذه الشجاعة في التعبير عن الرأي، وهذا القلب الحاني بالعاطفة أن يقفوا إلى جانب العراق، كما وقفوا معه في السابق، والعراقيون أوفياء لا ينسون من يقف معهم خصوصاً في ظروف المحنة.. أملي أن

يراعوا هذه الخصوصية، فشجر العراق اليوم مهدد، ونحن مقدمون على فصل الصيف، هذا الذي تغنى به الشاعر أبو العلاء المعري:

وردنا ماء دجلة خير ماء
وزرنا أشرف الشجر النخيلا

هذه أرض السواد التي كانوا يتغنون بها ينبغي أن نضع نحن المسؤولية أمام إخواننا القادة الأتراك؛ حتى يقفوا إلى جانبنا، ويتواصل العراق في حاضره مع تاريخه.. ومن خلال كلمة السيد أردوغان، وما ذكره من قصيدة الشاعر الفلسطيني إبراهيم طوقان (موطني موطني) حرك فيّ النشيد التركي الذي كتبه الشاعر محمد عاكف، ويقول فيه:

ولدت حراً منذ الأزل
وسأبقى حرا إلى الأبد

ويقول: لا حياة لتركي بدون عربي.. التركي العين اليمنى للعربي ويده اليمنى.. كذلك نحن- العراقيين- كلنا يد واحدة باتجاه الديمقراطية التي بدأت تختنق فيها آفاق الغرب - للأسف الشديد - الموقف من الديمقراطية أصبح منحازاً .. عرّفها الرئيس الأميركي (إبراهام لنكولن) الرئيس السادس عشر: الديمقراطية من الشعب، وإلى الشعب، وبواسطة الشعب، ماذا أراد بذلك؟.

هذه الشعوب اليوم كلها تخرج، وتتحدث، وأنا مسرور اليوم لأننا نستقبل رئيساً للوزراء ينتخبه شعبه، ويأتي إلى برلمان هو الآخر انتخبه شعبه، هذا هو اللقاء الذي يعبّر عن لقاء الشعوب، ولقاء الإرادات الوطنية.

فشكراً له على هذه الزيارة، وأتمنى له المزيد من الموفقية، وأتمنى للعلاقات العراقية - التركية مزيداً من تبادل المصالح، وأن تلعب تركيا دوراً مهماً في المسرح العربي والإسلامي والمسرح الدولي خدمة لشعوبنا ولدولنا مع حفظ سيادة كل دولة، والله الموفق.
السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.